10 me Année No. 474

Lundi - 3 - 8 - 1942

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العــدد ٤٧٤ «القاهرة فى يوم الإثنين ٢٠ رجب سنة ١٣٦١ — الموافق ٣ أغسطس سنة ١٩٤٢» السنة العاشرة

الفهرس

١٩ - ٦

سجينة الزهرية

[كلمة تفصل ألواناً من أوهام العقول وأحلام القلوب . . .]

للدكتور زكى مبارك

الزهرية إناء صغير مختلف الأشكال ، فيكون حيناً لحفظ الزهيرات أياماً بتغذية الماء ، ويكون حيناً لحفظ الشجيرات أعواماً بتغذية الطين ، وباختلاف ما يَحفظ يختلف شكله بعض الاختلاف

وحديث اليوم عن شُجَيْرَة حُفِظَتْ فى زَهْرِيَّة ، فظلت كيومها الأول فى النمو والنضارة بضع سنين ، مع أن أختها المنقولة إلى وعاء الأرض فى الريف بلغت مبلغ الدوحة الباسقة فى أقصر زمن وبأيسر عناء

هل كان يغيب عنى السبب فى تفاوت الحظ والمصير عند هاتين الأختين ؟ لا ... وإنما أردت أن أعرف من أحوال « سجينة الزهرية » أكثر مما أعرف ، فدار بينى وبينها الحوار الآتى ذات صباح :

— كيف حالك ، أيتها الشجيرة الغالية؟!

— حال من يعيش تحت حماية القوانين !

— أنتِ إذاً سعيدة ؟

— سعيدة جداً ، ألا ترى أن وجهى لم يتغير منذ التعارف الأول ؟ !

— وإلى أى عهد يرجع ذلك التعارف السعيد ؟

— أنت تعرف التاريخ ، فقد كنت أنا وأختى هديتين لك من حديقة الصديق (. . .) ، ثم كانت السعادة من نصيب أختى ، وكانت الشقاوة من نصيبى !

— ألم تقولى : إنك سعيدة ؟

— حسبتُك فهمتَ مرادى حين أخبرتُك أن وجهى لم يتغيَّر منذ التعارف الأول !

— وهل تكون السعادة فى غير الثبات على نضارة الشباب ؟

— أهذا هو فهمك للسعادة ، أيها الآدميُّ الحصيف ؟

— وما فهمُكِ أنتِ للسعادة ، أيتها الشُّجيرة الحمقاء ؟

— أخرجنى من سجن القانون لأملك الرد عليك !

— أى قانون ؟

— قانون الزهرية

— وما عيبُ قانون الزهرية ؟

— إنه يحبسنى فى تربة قصيرة المجال

— ولكنه لا يحبسك عن السماء ، وهى أرقُّ من الأرض وأنفس !

— السماء للفروع ، والأرض للجذور ، ولا فرع لشجرة لم يَثبتْ أصلها فى الأرض ، فأمكِنْ جذورى من الأرض ، لأطاول السماء بفروعى ، كما صنعتَ مع أختى

— لستُ مسئولاً عن تدليل الأخوات !

— ولستُ مسئولة عن إمتاعك بدوحة تصدُّ الهجير عن دارك .

— أفصحى ، أيتها الشجيرة ، عما تريدين

— أنت فرَّقت بينى وبين أختى ، ثم أنصفتَها وظلمتنى !

— قولى غير هذا القول ، فقد حفظتُكِ بدارى فى مصر الجديدة ، وأرسلتها إلى دارى فى سنتريس ، ودارى هنا تنال من رعايتى أكثر مما تنال دارى هناك . فما شكواك ، أيتها البلهاء ؟!

— شكواى من القانون !

— أى قانون ؟

— قانون الزهرية

— وما عيبُ قانون الزهرية ؟

— إنك تتجاهل تجاهل العارف

— ولعلنى أتعالم تعالم الجاهل !

— حوشيتَ من تعالم الجاهلين ! وهداك الله إلى إخراجى من سجن القوانين !

— أوضحى يا بُنَيَّتى

— إخلع نعليك أوضح لك !

— يا سفيهة ؟

— لست بسفيهة ، وإنما أحبُّ أن تحدثنى عن السبب فى طول قدميك

— كان ذلك لأنى كنت فى طفولتى أعادى الشياطين ، والشياطين لا يلبسون النعال ، فطالت قدماى !

— وهنا الشرح لقول العرب « فلانٌ ثابت القدم » فالقدم لا تَثْبت إلا بعد اتصافها بالعَرض والطُّول

— تلك عبارة مجازية

— العبارة المجازية فرعٌ عن العبارة الحقيقية ، فالقدم لا تطول إلا بفضل التحرر من القيد . والنعل قيد ، وإن زعموا أنه يقى القدمين متاعب الحفاء ، وهو يصنع بالأقدام بعض ما تصنع الزهريات بالشجيرات

— أوضحى ، يا حمقاء !

— الزهرية حفظتْ علىَّ شكلى الأول ، فأنا كما عهدتَ منذ سنين ، والمخلوقُ الذى لا يتغيَّر ميِّتٌ ميت ، لأن الحياة تجدُّدٌ وتغيُّر وتبديل ، وذلك حظ أختى التى حُرِّرت من قانون الزهرية فأُلقيت فى أحضان الأرض البَرَاح بسهول سنتريس

— أوضحى ، ثم أوضحى !

— عند التحرر من سجن الزهرية يكون من حق الشجيرة

أعداد الرسالة الخاصة

فى سبيل الوحدة العربية والثقافة العربية ، ستصدر الرسالة عدداً خاصاً بكل قطر من أقطار العروبة ، ينوه بفضله ويعرف بأهله . وسنبدأ بعدد العراق . والمرجو من أدباء كل قطر أن يعاونوا الرسالة على أداء هذا الواجب بإرسال ما يستطيعون من الوثائق والمقالات والصور

أن تساور ما فى الأرض من زاد طيِّب أو خبيث ، فتكون لها طعوم مختلفات ، ويكون لها فى كل يوم لون أو ألوان ، وكأنها الأديب الذى يقرأ فى لغات مختلفة لحكماء مختلفى الأفكار والأذواق

— أوضحى ، أوضحى !

— خلِّصنى أولاً من سجن القانون

— أى قانون ؟

— قانون الزهرية

— ولكن هذا القانون هو الذى حماك من التغير والتلون ، وحفظ عليك هذا الشكل الجميل ؟

— الجمال الذى لا يتغير ولا يتلون هو جمال التماثيل ، وأنا شجيرة لا تمثال

— أيجوز أن أساعدكِ على التغيُّر والتلوّن والتقلُّب ؟

— ليكون من حقك أن تقول إنك أبدعتنى

— أنا أبدع التلون والتغير والتقلب ؟

— ليكون من حقك أن تقول إنك تتأدب بأدب الله ، وهو عز شأنه قد افتنّ أعظم الافتنان فى إبداع الألوف واللايين والبلايين من الملامح المختلفات فى اللغات والطباع والأحاسيس ، وإذا كان رقم الديشيليون صورة وهمية فهو فى أفضال الله صورة تقريبية ، لأنه قد يعرِّض الفرد الواحد من عباده لآراء وأهواء تفوق الدشاليين

— وتريدين أيتها الشجيرة أن تكونى كذلك ؟

— خلِّصنى أولاً من سجن القانون

— أى قانون ؟

— قانون الزهرية !

— يظهر أننا لن ننتهى من هذا الحوار السخيف !

— أمن السخف أن أطالب بحقى فى الحرية ؟

— أية حرية ؟

— حرية الجذور فى اعتصار أمواه الأرض

— وفى تلك الأمواه ما هو خبيث

— الحياة لا تعرف الفروق التى يعرفها الآدميون فى تقسيم الأشياء

— ماذا تقولين ؟

— أقول إن الحياة مزاجٌ من الحلو والمر ، والطيِّب والخبيث ، وهى نفسها لا تلتفت إلى هذه التقاسيم ، ولعلها تجهل الفرق بين الريح الصَّرصر والنسيم العليل

— وإذن ؟

— وإذن لا يكون الخير كل الخير لشجيرةٍ مثلى أن تكتفى بشرب الماء المقطَّر ، وأن تعيش فى تربة ضيقة الحدود ، وإن كانت غاية فى النقاء ، ولا ينفعنى بشىء أن تتلطف فتحيينى فى غدوك ورواحك مرةً بالعربية ومرة بالفرنسية ، كأنى إحدى بنات الجيران !

— لم يُثمر فيك الجميل ، يا شقية !

— أىّ جميل ؟ خلِّصنى من سجن الزهرية لأمتصَّ ما فى الأرض من عذوبة ومُلوحة ، ولأساور ما فيها من أسباب النعيم والشقاء ، فما تضخم شجرة ، ولا تستفحل فكرة ، ولا يستحصد عقل ، إلا بمكابدة ما فى الوجود من أطايب وصعاب

— وما جزائى على الصنيع المنشود ؟

— هل تجهل أنى سأصير دوحة تصدُّ الهجير عن دارك ؟

— لا أجهل ، ولكنى أخاف عليك عواقب الطول والإيراق

— ما تلك العواقب ؟

— أنت اليوم فى أمان لأنك صغيرة محبوبة ، فإذا ضخُمت وطُلت وعظُمتِ فقد صار من حق كل سفيه أن يرجمك بالحصيات الثلاث لتجود عليه بشهى الثمار ، أو لينتفع بأوراقك فى تغذية الدوابّ

— الشجرة الكريمة تجود بالثمر والورق ، قبل السؤال

— هذا كلام فى كلام !

— خلِّصنى من سجن الزهرية ، ثم اختبر أخلاقى فى البخل والجود

— أنا أعرف أنك من سلالة بخيلة

— البخل عن إرادة بابٌ من أبواب العقل ، ومهما بخلتُ فلن أبخل عليك ، فلن يغيب عنى أنك تملك إروائى وإظمائى ، وأنك قد تصيِّرنى حطباً حين تريد ، فأنا مقهورةٌ مقهورة على مسايرة هواك

— ما أنت شجرةٌ ، إن أنتِ إلا روحٌ جريح

— نعم ، فقد تقدَّم أترابى وتخلفتُ ، بفضل الحياة تحت حماية القوانين

— قولى كلاماً غير هذا ، فبفضل قانون الزهرية عشتِ فى أمان ، من القربان

— لأنى بقيتُ صغيرة محبوبة أتلقى التحيات الآدمية فى الصباح والمساء ؟

— هو ذلك !

— أنت إذن تجهل فرح الدوحة العظيمة بأن يكون عَرَقُها غذاء للنمال ، وبأن تكون أعاليها ملاذاً لكل خائف ، وبأن تكون ثمارها منية كل جائع ، وبأن تكون عرضة فى كل وقت لتطاول الأوباش والسفهاء

— وما الموجب لهذه المتاعب ؟

— العظمة فى جميع الخلائق من جماد ونبات وحيوان وإنسان لا يتصورها الوهم أو الحس أو العقل إلا محفوفة بالمكاره والصعاب . وليست السعادة بالميزان الذى تعرف به الأقدار الصحيحة لمختلف الخلائق ، وإنما الميزان الحق هو الشقاء بالخلق وقد سمعت أنه أشرف ما ظفر به الأنبياء

— إن كان الشقاء هو ما تبتغين فقاسمينى حظى ، يا شجيرتى الغالية

— أنا أطلب الاستقلال

— حتى فى الشقاء ؟

— حتى فى الشقاء ، لأشعر بقوة الذاتية

— وهل تضعف الذاتية حين يتساقى المحبون كأس العذاب شفةً إلى شفة ، وقلباً إلى قلب ؟

— أنت تحبنى ؟

— وأى حبٍّ ؟ ألا تذكرين أنى سقيتك مرات كثيرة من دموعى ؟

— متى كان ذلك ؟

— إن ذلك يقع فى كل يوم ، وفى غفلة الجنّان ، فأنت وليدة الحب والدمع ، لا سليلة الماء والطين

— وكيف خصصتنى بهذا البرّ النفيس ؟

— جمع بيننا اليُتم القاسى ، فأنت يتيمة فى صحراء مصر الجديدة ، وأنا يتيم فى بيداء الوجود ، ولن تظمأى ولن تجوعى وأنت فى ضيافة قلبى وروحى ، وما حبستك فى سجن الزهرية إلا رغبة فى أن يطول نعيمُك بالطفولة النافية ، أيتها اليتيمة العصماء ... خذى حياتك أيتها الشجيرة من عطفى وحنانى ، فما لك بعدى أبٌ ولا أخٌ ولا صديق ، أنا نصيبُك من دنياك كما كنت نصيبى من دنياى ، وضلوعى هى زادك من القوت إن عزّت الأقوات

— أكنتُ حقًّا نصيبك من دنياك ؟

— أنتِ الصديق الذى لم يتغيّر فى مدى سبع سنين ، فأوراقُكِ أوراقك ، ومرآكِ مرآك ، بفضل القانون

— أى قانون ؟

— قانون الزهرية ، يا بلهاء ، فهو الذى حفظ عليك نعمة الشباب

— وتريد أن أظل يتيمة طول حياتى ؟

— لا يوصَف باليُتم غير الأطفال ، فإن أبحتُك مُلوحة الأرض فلن تظفرى بعد اليوم بملوحة دمعى ، لأن الأرض ستصيّرك بعد قليل مرآةً شمطاء

— سعادة القاصرين لا تقاس إلى شقاوة الراشدين

— أوضحى ، يا حمقاء

— قد أوضحتُ ، ثم أوضحت ، فأتمم جميلك وامنحنى الحرية والاستقلال

— منحتك الحرية والاستقلال

— كنتَ بالأمس راعياً وأنت اليومَ صديق ، وما أبعد الفرق بين الراعى والصديق

زكى مبارك

٤ – كتاب الامتاع والمؤانسة

الجزء الثاني

للأب أنستاس مارى الكرملى

قيل فى نص ص ١٦٩ : « وغرّق نفسه فى كِرْدَاب كلواذى » وجاء فى الحاشية : « والجرداب كلمة فارسية معناها دوامة الماء ، وهى وسط البحر ولجته التى يدوم عليها الموج ؛ وهى بالجيم . ولعل العرب كانوا ينطقونها بالكاف » قلنا : الكلمة الفارسية هى كرداب بكسر الكاف الفارسية أو المعقودة . ويعرب العرب هذه الكاف مرة بالجيم ، وتارة بالقاف ، وأخرى بالكاف العربية . أما هنا فلم يعربوها إلا بالكاف العربية . أما قول الناشرين فى الحاشية : الجرداب . . . معناها دوامة الماء وهى وسط البحر ولجته التى يدوم عليها الموج » فتعبير غريب لم نجد نظيراً له ، لأن دوامة الماء قد لا تكون فى وسط البحر ، بل فى أعمق مكان من النهر ، كما هو متعارف فى دجلة واللجة غير الدوامة ، وغير وسط البحر . وأما قولها : « يدوم عليها الموج » فمشهور التعبير هو « يدوم فيها الماء » لا الموج . راجع ما قالوه فى تعريف (الدُّرْدُوْر) وهو يقابل الجِرْدَاب الفارسية .

وفى ص ١٧٠ : « ولعمرى من غُلِّطَ غَلِط » وعندنا أن الصواب هو من غَلَّطَ (بصيغة المعلوم) غُلِّط . (بصيغة المجهول من باب التفعيل) .

وجاء فى ص ١٧٣ : « وتفتلت وتفتلت » والصواب وتقلبت

ورد فى ص ١٧٥ « إن صرَّحتَ له كَنَى وإن كَنَيْتَ له صرَّح » وعندنا الأحسن أن يقال : إن صرَّحت له كَنَّى وإن كنيت له صرح ليكون الفعلان من باب التفعيل ، فيحسن وقعهما فى السمع ، ويكون أيضاً من باب المزاوجة فى الوزن . هذا فضلاً عن أن التكنية شائعة كالكناية .

وشرح الناشران فى ح ص ١٨٠ الفقاع بقولها : شراب يتخذ من الشعير . فهذا كلام اللغويين ، وكنا نود أن ينقلا المصطلحات العلمية ومعانيها عن أهل الفن ، ولا يكتفيا بتعريف اللغويين ، لأن خاصية هؤلاء الأفاضل شرح معنى الكلمة من باب الإجمال لا من باب التخصيص ؛ وذلك أن اللغويين شرحوا بشراب يتخذ من الشعير كُلاًّ من الألفاظ الآتية : الفقاع ، والمِزْر والجعة . ولا جرم أن السلف ميزوا كل لفظ عن أخيه حتى لا يهيم القارىء فى هيماء الضلال . فقد شرح التميمى الفقاع بقوله : يتخذ على ضروب . وذلك أن منه ما يتخذ من دقيق الشعير المجفف المطحون المخمَّر بالنعنع والسذاب والطرخون وورق الأُتْرُجّ والفلفل ... وأما المتخذ من الخبز السميد المحكم الصنعة ، والكرفس ودقيق الحنطة المنبتة ، أو من دقيق الشعير المنبت فإنه أقل ضرراً من الأول . . . وقد يتخذ منه ساذجاً بماء خبز السميد المحكم الصنعة مُروّقاً ، وتقيمة المسك والمصطكى فقط ، مع قلب نعنع فى كل كوز ، وقلب طرخون فقط ... وأما ما يتخذ من الحنطة والشعير والجاورس ، المنبتة ، من الشراب المسكر المسمى بِعُنصر المِزْر ، فإنها أنبذة تُسْكر إسكاراً شديداً غير أنها تبتعد عن قُوَّتِهِ ومنافعهِ بُعداً شديداً » ذكرنا بعض هذا الكلام مع طوله ليتبين للقارئ أن الفقاع أَشْرِبَة ، وليعتمد على أهل الفن والصناعة فى الأوضاع العلمية ، ولا يكتفى بأقوال اللغويين

وجاء فى ص ١٩٦ : وقال الوزير [أدام الله أيامه] ... قلنا : هذا دعاء بالخير لا يتحقق ألبتة . والأحسن ، أو الأقرب إلى الفعل ، أن يدعو الإنسان بما يتحقَّق ، فيقول مثلا : أطال الله أيامه !

وقال الناشران فى ح ص ١٩٨ : إذ المطرّى هو المقلوب إلى مُطيَّرٍ فالمطيَّر مقلوب إليه . ولعل الصواب : إذ المطرى هو مقلوب مطيّر فالمطير مقلوبه

وفى ح تلك ص : وعدة أبياتها أربعة وثلاثون بيتاً فيها . ولعل الأصوب أن يقال : وعدة أبياتها أربعة وثلاثون أو وأبياتها أربعة وثلاثون ، أو وعدة ما فيها أربعة وثلاثون بيتاً ، أو نحو هذا التعبير

وفى ح ص ١٩٩ فى كلتا النسختين : يمين من لا يمين وهو تصحيف والتصويب عن شعر ... والأحسن أن يقال : والتصحيح ليكون المعنى وتصحيح التصحيف . أما قولها والتصويب ، فيكون معناه وتصويب التصحيف . فيكون التصحيف صحيحاً لا خطأ ، لأن اللغويين يقولون صوّب فلاناً قال له أصبت وصوب رأيه ، وقوله حكم له بالصواب . وقد جاءت التصويب مرتين فى تلك الحاشية

وورد البيت الـ ١١ فى ص ٢٠٠ هكذا :

تكفيه حزّة فِلْذانٍ ألمَّ بها من الشواء ويكفى شربهُ الغمرُ

وفى الحاشية الحزة القطعة من اللحم تقطع طولاً ، والفلذان جمع فلذة وهى القطعة من الكبد واللحم . قلنا هنا خطأ غريب بل خطآن غريبان : الأول أنهما قالا الفلذان جمع فلذة وفِعلة بالكسر لا تجمع على فعلان بل فعل المكسور وبلا هاء في الآخر؛ والخطأ الثانى الغريب هو أنهما قرآها فلذان مع أن الصحيح هو فلذة ِكبد (بفتح الكاف أو كسرها) إن ، كما قرآها أول مرة فى ص ١٩٨ س ١ . فيا للعجب لهذه القراءة ولهذا التأويل ولهذا الخطأ ، إذ جعلا كلة واحدة ما هو فى كلتين !

٥ — أوهام التعبير والإنشاء والفكر

جاء فى ح ص ٢٧ : « أو لعله كتبها وا كتفى بإرسالها إلى الوزير » والصواب : « وا كتفى بالإرسال بها إلى الوزير . (راجع شرح الطرة عن الغرة طبع دمشق سنة ١٣٠١ ص١٥٦)

وفى ض ٣٩ « وها هو بين يديك » والصواب : وها هو ذا بين يديك (راجع مجلة المجمع العلمى العربى ١٧ : ٢٣٤ و ٢٣٥)

وفى ٤٢ « وقال السيد المسيح : إن استطعت أن تجعل كنزك لا يأكله السوس ولا تدركه اللصوص — فافعل — المشهور هو هذا : « لا تكنزوا لكم كنوزاً على الأرض حيث يفسد السوس والآكلة وينقب السارقون ويسرقون ؛ لكن اكنزوا لكم كنوزاً فى السماء حيث لا يفسد سوس ولا آكلة ولا ينقب السارقون ولا يسرقون (متى ٦ : ١٩ و ٢٠)

وفى ١٢٣ « وقال عيسى بن مريم : ما ينفع الأعمى ضوء الشمس ولا يبصرها » نحن لم نجد هذا القول المنسوب إلى عيسى بن مريم ، فهل يتمكن الناشران من أن يدلانا على محل وروده من الإنجيل .

وفى ص ١٢٧ « وقال عيسى — عليه السلام — يابن آدم اعتبر رزقك بطير السماء لا يزرعن ولا يحصدن وإلٰه السماء يرزقهن . فإن قلت لها أجنحة فاعتبر بحمر الوحش وبقر الوحش ما أسمنها وما أبشمها وأبدنها ! »

والذى نعرفه شبيهاً بهذا القول من أقوال السيد المسيح ما يأتى « أنظروا إلى طيور السماء ، فإنها لا تزرع ولا تحصد ، ولا تخزن فى الأهراء ، وأبوكم السماوى يقوتها ، أفلستم أنتم أفضل منها (متى ٦ : ٢٨ وما يليها)

وفى ص ٥٥ « لو كلنى عدوى لعقدت شعر أنفه إلى شعر... » والمشهور « شعر أنفه بشعر »

٦ — أوهام الضبط والتقييد

وورد فى ص ٢ : « فلم يكن له فيها مَطْلع » ، ونظن الصواب : مُطَّلَع ، وزان محمد

وفى ص ٦ : « المِجَسْطِى » وضبطت بكسر الميم ، وفتح وإسكان السين ، وكسر الطاء وفى الآخر ياء خفيفة . قلنا : هذا الضبط مخالف للاسم المعرَّب عنه وهو almageste اللاتينية المولدة المركبة من (ال) العربية وهي أداة التعريف واليونانية : megiste أى الأعظم . فيكون معناها العمل الأعظم . وفى ديوان الشارح فى مادة (مجسط) : المَجَسطى ، بفتح الميم والجيم ، اسم لعلم الهيئة (كذا) وبه سُمِّى الكتاب الذى وضعه بطليموس الحكيم ، وعُرِّب فى زمن المأمون . اﻫ

وفى ص ٣٠ : « أولوا » والصواب حذف الألف من الآخر.

وفى تلك الصفحة : « دَهْرِيِّين » ، وضبطت الدال بالفتح ، والمشهور ضبطها بالضم

وفى ص ٤٦ : « علم مَقْبَرةُ » بضم الهاء والصواب بتثليث الباء وفتح الراء وكسر الهاء

وفى ص ٦٧ : « أسكرْجة » والمشهور أنها بلا ألف فى الأول

وفى ص ٨٣ (وكذلك ؟) : الموسيق ، بكسر القاف والياء الخفيفة . والمشهور المُوسِيقَى ، بضم الميم ، وكسر السين ، وفتح القاف . قال نصر الهورينى فى تعليقه على كلة الربابى الواردة فى القاموس فى مادة (ر ب ب) فى كلامه على محمود ابن عبد الله الواسطى الربابىّ ، الذى يُضرَبُ به المثل فى معرفة الموسيقى بالرباب ما هذا نصه : « قوله الموسيق . هكذا فى النسخ بكسر القاف . وهو اشتباه سَبَّبه رسم الكلمة بالياء . وصوابُه فتح القاف كما هو فى اللغة الرومية (أى mosica) والعامل بتلك الآلة يقال له موسيقار ، بزيادة راء فى الآخر ، كأن هذه الزيادة عندهم كالنسب فى جمال وحمار . اﻫ

(البقية فى العدد القادم) الأب أنستاس مارى الكرملى

أحد أعضاء مجمع فؤاد الأول للغة العربية

حكم فى القضية ١٣٦٨ عسكرية سنة ١٩٤٢ ضد صلوحه محمد خفاجه بغرامه ٣ جنيه والنشر والتعليق بتاريخ ٢٧ مايو سنة ١٩٤٢ وذلك لبيعها فرة بسعر أكثر من المحدد

أشهر الكتاب الاجتماعيين العراقيين في القرن الرابع الهجري

القـــاضى التنوخى

للأستاذ يوسف يعقوب مسكونى

يسرنى أن أبدأ لك — أيها القارئ العزيز — بسرد حياة هذا القاضى الحجة ، الكبير الهمة ، الشاعر الفحل ، والمحقق العدل ، والأديب الأريب ، العالم ابن العالم ابن الحسب والنسب من آل تنوخ الكرام

أما الذين ترجموه من العصور المتأخرة ، فقد رووا عنه أخباراً جميلة ، وعددوا مؤلفاته التى لم نحصل منها — ويا للأسف — إلا على ثلاثة : أولها كتاب « الفرج بعد الشدة » ، ذلك السفر المشحون بأخبار الأولين وكلها أقاصيص وحكايات واقعية تنبئ عن المآثر التى خلدت فى عز العرب والإسلام . ترجمه إلى التركية لطف الله بن حسن التوقاتى[1] المقتول سنة ٩٠٠ هـ . وقد طبع الكتاب طبعتين : الأولى طبعة الهلال للمرحوم المؤرخ جورجى زيدان سنة ١٩٠٣ م . والثانية طبعة المكتبة العلامية بجوار الأزهر بمصر لصاحبها عبد القادر علام سنة ١٩٣٨م . وأما ثانيها ، فهو كتاب « جامع التواريخ » المسمى « نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة » ، وهو أحد عشر مجلداً على ما رواه ياقوت فى معجم الأدباء اشترط فيه أنه لا يضمنه شيئاً نقله من كتاب . كل مجلد له فاتحة بخطبة . وقال غرس النعمة محمد بن هلال الصابى العلامة المؤرخ المشهور : صنف أبو على المحسن كتاب « نشوار المحاضرة » فى عشرين سنة أولها سنة ستين وثلاثمائة . وقد ذيله غرس النعمة بكتاب سماه كتاب « الربيع » قال : ابتدأته سنة ثمان وستين وأربعمائة[2] . هذا ولم يحصل عالم الطبع منه إلا على جزئين وبعض جزء ثالث . فالأول قام بطبعه المستشرق العلامة مرجليوث ، وطبع الجزء الثامن منه بدمشق سنة ١٣٤٨ هـ (١٩٣٠ م) بإرشاد الأستاذ

(١) كشف الظنون لحاجى خليفة جـ ٤ ص ٤١١ ط أوروبا

(٢) معجم الأدباء لياقوت الحموى جـ ١٧ ص ٩٢ ط دار المأمون

مرجليوث . قال بعد أن سرد ترجمة التنوخى نقلاً عن معجم الأدباء لياقوت الحموى : « وأول مجلد منه نشرناه فى سنة ١٩٢١ م عن نسخة فى مكتبة باريس العمومية . وبذل البحاثة الشهير أحمد باشا تيمور جهده فى تفسير ما ورد فيه من الغريب ، فنثر ثمرات أفكاره فى المجلدين الثانى والثالث من مجلة مجمعنا العلمى العربى فى دمشق ، وقد أخبرنا أن عنده نسخة من الجزء الثانى » . ونشر بعض الثالث فى مجلة المجمع العلمى العربى بعد نشرها الثامن[1] . هذا ، وقد ذكره بعنوان « نشوان المحاضرة وأخبار المذاكرة » — ابن خلكان[2] . ونقل عنه هذه اللفظة صاحب شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، لابن العماد الحنبلى فى حوادث سنة ٣٨٤ هـ ، وهى سنة وفاة التنوخى . ونقل عنهما الحاجى خليفة فى كشف الظنون تلك اللفظة ، إذ وضع اسم الكتاب فى مادة النون . والكتاب الثالث هو كتاب المستجاد من فعلات الأجواد ، لم يذكره سوى ابن خلكان ، ونقل عنه صاحب شذرات الذهب . وقد طبع الكتاب حديثاً طبعة حجرية نشره ليوبولى Leo Pauly فى شتجارت سنة ١٩٣٩ م ، طبقاً للمخطوطة الأصلية فى ٢١٥ صفحة فيها الفهارس كاملة زيادة على ست وعشرين صفحة للمقدمة الألمانية . وقد علمت بأن نسخة خطية منه يملكها الملا صابر بكركوك . وقد طالعت طائفة من أخباره فوجدته بديعاً لا يقل أسلوباً عن الكتب الأخرى المذكورة آنفاً والشائعة بين القراء والمتتبعين . إن أول من ترجم التنوخى على ما يستوجب سياق التاريخ هو هلال بن المحسن الصابى فى تاريخ بغداد الذى وصل به تاريخ ثابت بن سنان ، ثم الثعالبى صاحب يتيمة الدهر المتوفى سنة ٤٢٩ هـ حيث قال عنه بعد أن تكلم عن أبيه : « هلال ذلك القمر ، وغصن هاتيك الشجر ، والشاهد العدل لمجد أبيه وفضله ، والفرع المثيل لأصله ، والنائب عنه حياته ، والقائم مقامه بعد وفاته — وله كتاب « الفرج بعد الشدة » ، وناهيك بحسنه ، وإمتاع فنه ، وما جرى من الفأل بيمينه ، لا جرم أنه أسير من الأمثال ، وأسرى من الخيال — أخبرنى أبو نصر سهل بن المرزبان أنه رأى ديوان شعره ببغداد أكبر

(١) لا يزال ينشر فى المجلة المذكورة

(٢) ابن خلكان جـ ١ ص ٥٠٤ ط بولاق

حجماً من ديوان شعر أبيه ، وأن بعض العوائق حال بينه وبين تحصيله ، حتى فاته واشتد الأسف عليه ، ولو تقدر له استصحابه كسائر الدواوين البديعة ، لكنت أتفسح في الانتخاب منه . ولكني الآن مقل من شعره ، وسيقع لي ما أستكثر به ، وألحق المختار منه بمكانه من هذا الباب بمشيئة الله تعالى وعونه ، وفيه يقول أبو عبد الله بن الحجاج :

إذا ذكر القضاة وهم شيوخ ... تخيرت الشباب على الشيوخ[1]
ومن لم يرض لم أصفعه إلا ... بحضرة سيدي القاضي التنوخي

وذكره بعدهما الخطيب البغدادي المتوفى سنة ٤٦٣ هـ في كتابه تاريخ بغداد ، عده محدثاً ببغداد وعدد نسبه وحدد تاريخ مولده ووفاته إذ قال : « الحسن بن علي بن محمد بن أبي فهم أبو علي التنوخي القاضي بن القاضي ، ولد بالبصرة وسمع بها من واهب ابن يحيى المازني وأبي العباس الأثرم ومحمد بن يحيى الصولي والحسن بن محمد بن عثمان النسوي وأبي بكر بن داسة وأحمد بن عبد الصفار وطبقتهم ونزل بغداد وأقام بها وحدث بها إلى حين وفاته . وكان سماعه صحيحاً أديباً شاعراً أخبارياً . أخبرنا عنه ابنه أبو القاسم علي ، أخبرنا التنوخي حدثنا أبي — من لفظه وحفظه ومن أصله — حدثنا واهب بن يحيى بن عبد الوهاب المازني البصري — بها من حفظه — قال التنوخي وحدثنا إدريس بن علي المؤدب ؛ ورفع الإسناد إلى مسلمة بن مخلد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة . ومن فك عن مكروب فك الله عنه كربة من كرب يوم القيامة . ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته » قال لي التنوخي قال قال لي أبي : مولدي سنة سبع وعشرين وثلاثمائة بالبصرة . قال وكان مولده في ليلة الأحد لأربع بقين من شهر ربيع الأول وأول سماعه في سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة . وأول ما تقلد القضاء من قبل أبي السائب عتبة بن عبد الله بالقصر وبابل وسور[2] (كذا) في سنة تسع وأربعين . ثم ولاه المطيع لله القضاء بعسكر مكرم وإيذج ورامهرمز . وتقلد بعد ذلك أعمالاً كثيرة في نواح مختلفة ، وتوفي ببغداد في ليلة الإثنين لخمس بقين من المحرم سنة أربع وثمانين وثلاثمائة[1] » . أما من ذكره بعدهم فمنهم أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي صاحب المنتظم في تاريخ الملوك والأمم المتوفى سنة ٥٩٧ هـ ، فذكر نسبه ومولده وسماعه وتحديثه وأول سماعه الحديث وتقليده القضاء كما أسلفنا ، ثم ذكر أيضاً وفاته كما ذكر سلفه الخطيب البغدادي[2] . وقد ذكره ابن الأثير في كتابه الكامل في حوادث سنة ٣٧١ هـ . ونقل أن عضد الدولة قبض عليه وألزمه منزله وعزله عن أعماله التي كان يتولاها ، وذكره أيضاً في وفيات سنة ٣٨٤ هـ . وهي سنة وفاته سارداً تاريخ مولده أيضاً . قال وكان فاضلاً[3] . وقد ذكر التنوخي في كتابه (الفرج بعد الشدة) أنه كان على العيار في دار الضرب بسوق الأهواز سنة ست وأربعين وثلاثمائة ، وذكر بعد ذلك بقليل أنه كان على القضاء بجزيرة ابن عمر . وذكر ابن تغري بردي صاحب النجوم الزاهرة المتوفى سنة ٨٧٤ هـ أنه تقلد القضاء بسر من رأى يشبه سوراً . قال : وكان أديباً شاعراً[4] والذي عرفنا — أسباب توليته القضاء وعزله — ياقوت الحموي في كتابه المعروف بإرشاد الأريب في معرفة الأديب — أعني معجم الأدباء وذلك بإسهاب يصعب علينا استيعابه فنختصره ونقول : « قال بعد ذكر نسبه ومولده سنة تسع وعشرين وثلاثمائة بخلاف ما ذكره الخطيب البغدادي وابن الجوزي صاحب المنتظم وهما أسبق من ياقوت وذكر وفاته أيضاً من دون خلاف ، وذكر تآليفه كما ذكرناها آنفاً : ولي القضاء بواسط وكان بها متولياً سنة ثلاث وستين وثلاثمائة . وقال في موضع آخر من كتابه نشوار المحاضرة : حضرت أنا مجلس أبي العباس أبي الشوارب قاضي القضاة إذ ذاك وكنت حينئذ أكتب له على الحكم والوقوف بمدينة السلام مضافاً إلى ما كنت أخلفه عليه بتكريت

(١) يتيمة الدهر للثعالبي ج ٢ ص ٣١٩ ووفيات الأعيان ج ١ ص ٣٦٣ و ٣٦٤ ط بولاق .
(٢) وفي تاريخ آخر « سورا » وهو الصحيح كما سنذكره

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج ١٣ ص ١٥٥ ، ١٥٦
(٢) المنتظم لابن الجوزي ج ٧ ص ١١٧ ط حيدر آباد .
(٣) الكامل لابن الأثير ط ليدن ج ٩ ص ١١ ، ٧٤
(٤) الفرج بعد الشدة للتنوخي الطبعة الأخيرة ج ١ ص ٢٢ . كذلك النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ج ٤ ص ١٦٨

ودقوقا[١] وخانيجار[٢] وقصر ابن هبيرة[٣] والجامعين[٤] ، وسوراء[٥] وبابل[٦] والإيغارين[٧] وخطرنية[٨] وذكر قصة . وذكر في موضع آخر - جاء قبلاً منقولاً عن الخطيب البغدادي - أنه كان يتقلد القضاء بعسكر مكرم[٩] في أيام المطيع لله ، وعز الدولة بن بويه . وقد ذكر أبو الفرج الشلجي[١٠] أنه تقلد القضاء بالأهواز نيابة عن القاضي أبي بكر بن قُرَيْعَة . قال أبو الفرج : وحدثني أبو علي التنوخي القاضي قال : لما قلّدني القاضي أبو بكر بن قريعة قضاء الأهواز خلافة له كتب إلى المعروف بابن سركس الشاهد ، وكان خليفته على القضاء قبلي كتاباً على يدي وعنوانه : إلى المخالف الشاق ، السيء الأخلاق ؛ الظاهر النفاق ، محمد بن إسحاق . وقال ياقوت أيضاً : قرأت في كتاب الوزراء لهلال بن المحسن : حدث القاضي أبو علي قال : نزل الوزير أبو محمد المهلبي السوس[١١] فقصدته للسلام عليه وتجديد العهد بخدمته، فقال لي : بلغني أنك شهدت عند ابن سيار قاضي الأهواز قلت نعم . قال : ومن ابن سيار حتى تشهد عنده وأنت ولدي وابن أبي القاسم التنوخي أستاذ ابن سيار ؟ قلت : ألا إن في الشهادة عنده مع الحداثة جمالاً — وكانت سني يومئذ عشرين سنة — قال وجب أن تجيء إلى الحضرة لأتقدم إلى أبي السائب قاضي القضاة بتقليدك عملاً تقبل أنت فيه شهوداً « قلت ما فات ذاك إذا أنعم سيدنا الوزير به ، وسبيلي إليه الآن مع قبول الشهادة أقرب . فضحك وقال لمن كان بين يديه : أنظروا إلى ذكائه كيف اغتنمها ؟ ثم قال لي أخرج معي إلى بغداد . فقبلت يده ودعوت له . وسار من السوس إلى بغداد . ووردت إلى بغداد في سنة تسع وأربعين وثلاثمائة، فتقدم إلى أبي السائب في

(١) مدينة بين إربل وبغداد .
(٢) فتحها هاشم بن عتبة بن أبي وقاص بأمر سعد عمه « رضي » .
(٣) القريب من جسر سوداء المذكورة لا صور كما ذكرت في كتاب الخطيب البغدادي .
(٤) حلة بني مزيد التي بأرض بابل على الفرات بين بغداد والكوفة .
(٥) موضع بالعراق من أرض بابل وهي مدينة السريانيين .
(٦) إسم ناحية قرب الحلة .
(٧) إسم لمدة ضياع من كور أوغرت ليسى ومعقل ابني أبي دلف العجلي
(٨) ناحية من نواحي بابل العراق .
(٩) بلد مشهور من نواحي خوزستان منسوب إلى مكرم بن معزاء صاحب الحجاج بن يوسف .
(١٠) نسبة إلى شلج قرية قرب عكبرا تخرج منها أبو الفرج هذا واسمه محمد بن محمد بن سهل الشلجي .
(١١) بلد بخوزستان فيها قبر دانيال النبي عليه السلام .

بما دعاه إلى أن قلدني عملاً بسقي الفرات . وكنت ألازم الوزير أبا محمد وأحضر طعامه ومجالسته . واتفق أن جلس يوماً مجلساً عاماً وأنا بحضرته وقيل : أبو السائب في الدار، قال : يدخل . ثم أومأ إليّ بأن أتقدم إليه، فتقدمت ومدّ يده ليسارّني فقبلتها ، فمدّ يدي وقال ليس بيننا سر ، وإنما أردت أن يدخل أبو السائب فيراك تسارّني في مثل هذا المجلس الحافل فلا يشك أنك معي في أمر من أمور الدولة فيرهبك ويحشمك ويتوفر عليك ويكرمك فإنه لا يجيء إلا بالرهبة ، وهو يبغضك بزيادة عداوة كانت لأبيك ، ولا يشتهي أن يكون له خلف مثلك . وأخذ يوصل معي في مثل هذا الفن من الحديث إلى أن دخل أبو السائب . فلما رآه في سرار وقف ولم يحب أن يجلس إلا بعد مشاهدة الوزير له تقرباً إليه وتلطفاً في استمالة قلبه ، فإنه كان في ذلك الوقت فاسد الرأي فيه . فقال لأبي السائب يجلس قاضي القضاة ، وسمعه الوزير فرفع رأسه وقال له اجلس يا سيدي ، وعاد إلى سراري وقال لي : هذه أشد من تلك ؛ فامض إليه في غد فسترى ما يعاملك به . وقطع السّرار وقال لي ظاهراً : قم فامض بما أنفذتك فيه وعدْ إليّ الساعة بما تعجله ، فوهّم أبا السائب بذلك أننا في مهم . فقمت ومضيت إلى بعض الحُجَر وجلستُ إلى أن عرفتُ انصراف أبي السائب فكاد يحملني على رأسه وأخذ يحادثني بضروب من المحادثة والمباسطة وكان ذلك دهراً طويلاً[١]

(البقية في العدد القادم) **يوسف يعقوب مسكوني**

(١) معجم الأدباء لياقوت الحموي ج ١٧ ص ٩٣ ، ٩٥ ، ٩٧ ط . دار المأمون

ترتيب القـــرآن

للأستاذ أبو طالب زيان

(تتمة ما نشر فى العدد ٤٧٢)

اتفق العلماء على أن هذا الترتيب إنما يجب التزامه فى كتابة المصاحف . أما فى القراءة فليس بواجب . يدل على ذلك حديث عائشة فى البخارى حيث قالت للعراقى الذى سألها عن تأليف القرآن : « لا يضرك أية قرأت » . وقد حمله جمهور المحدثين على أنه فى القراءة بأية سورة أراد دون أن يلتزم الترتيب . قال ابن بطال : لا نعلم أحداً قال بوجوب ترتيب السور فى القراءة لا داخل الصلاة ولا خارجها ، بل يجوز أن يقرأ الكهف قبل البقرة والحج قبل الكهف . وأما ما جاء عن السلف من النهى عن قراءة القرآن منكوساً ، فالمراد به أن يقرأ من آخر السورة إلى أولها . وكان جماعة يصنعون ذلك فى القصيدة من الشعر مبالغة فى حفظها ، وتذليلاً للسان فى سردها ؛ فنع السلف ذلك فى القرآن فهو حرام فيه . اه

والآن أعود إلى سبق النزول فأقول : لست فى حاجة إلى أن أ كرر أن القرآن ابتدأ نزوله من ليلة اليوم السابع عشر من رمضان للسنة الحادية والأربعين من ميلاده عليه الصلاة والسلام حيث أوحى إليه فى غار حراء الذى كان يتعبد فيه الليالى ذوات العدد ، وأن أول آيات القرآن نزلت على النبى الكريم وهو بالغار ، وأن آخر آية نزلت يوم الجمعة ، يوم عرفة ، عام حجة الوداع . يدل على هذا ما رواه البخارى بسنده عن طارق بن شهاب عن عمر ابن الخطاب رضى الله عنه أن رجلاً من اليهود . قال له : يا أمير المؤمنين ، آية فى كتابكم تقرؤونها لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً . قال أى آية ؟ قال : اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً . قال عمر : قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذى نزلت فيه على النبى صلى الله عليه وسلم وهو قائم بعرفة يوم جمعة . ولقد روى البخارى هذا الحديث فى عدة مواضع من صحيحه . ورواه أصحاب السنن إلا أبا داود . . . ولم ينزل على النبى صلى الله عليه وسلم بعدها شىء من الفرائض ولا تحليل شىء ولا تحريمه . ولم يعش النبى صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الآية إلا إحدى وثمانين ليلة

عن ابن عباس ومجاهد أن سورة « إقرأ » أول ما نزل من القرآن إلى قوله تعالى : « علم الإنسان ما لم يعلم » ثم نزل باقيها بعد . والجمهور على أن « الفاتحة » أول ما نزل ثم سورة « القلم » وسورة « الضحى » نزل منها أولاً إلى قوله تعالى « ولسوف يعطيك ربك فترضى » ثم نزل باقيها بعد ، ولم ينزل من السور الطوال سورة بتمامها إلا سورة « الأنعام » . فقد روى كثير من المحدثين نزولها جملة عن غير واحد من الصحابة والتابعين لأنها مشتملة على دلائل التوحيد والعدل والنبوة والمعاد وإبطال المذاهب التى كذبت القرآن ولم يؤمن أصحابها بالبعث والنشور . وهى من المقاصد الأساسية للدين الحنيف التى لا يتوقف نزول آياتها على السؤال والحوادث أو الأسباب التى تقتضى الإنزال

ولقد رجح هذا المذهب الإمام الرازى فى تفسيره الكبير والقرطبى وغيرهما من علماء التفسير ، كالكشاف ، والنسفى . ولم يضعفه إلا الأستاذ الألوسى فى كتابه « روح المعانى » فقد أنكر نزول هذه السورة جملة وقال : كيف يمكن حينئذ أن يقال فى كل واحدة من آياتها أن سبب نزولها كذا ... ولكن إنكار الأستاذ ... ضعيف لأن ما ذكره الجمهور فى أسباب نزول آياتها بعضه لا يصح والبعض الآخر لا يدل على نزول تلك الآيات متفرقة لأن غاية ما قالوه أن تلك الآية نزلت فى كذا وكذا أو فى قول المشركين كيت وكيت . فإذا صح كان معناه أن تلك الآيات نزلت بعد الوقائع ؛ وهذا لا يتنافى ونزولها دالة على ذلك فى ضمن السورة ...

ولقد نزل كتاب الله فى تلك الفترة بين مبتدأ الوحى ومنتهاه مفرقاً إلى أجزاء كل جزء منها يسمى نجماً ؛ وربما نزلت الآية المفردة وربما نزلت آيات عدة إلى عشر كما صح عند أهل الحديث فيما انتهى إليهم من طرق الرواة . فقد نزلت عشر آيات فى قصة الإفك جملة ، ونزلت عشر آيات من أول المؤمنين جملة ، يدل على نزولها جملة مارواه الإمام أحمد بسنده عن عمر بن الخطاب قال : كان إذا نزل على رسول الله الوحى يسمع عند وجهه كدوى النحل فلبثنا ساعة فاستقبل القبلة ورفع يديه وقال : « اللهم زدنا ولا تنقصنا ، وأكرمنا

ولا تُهنا ، وأعطنا ولا تحرمنا ، وآثرنا ولا تؤثر علينا ، وارض عنا وأرضنا » ثم قال : لقد أنزل الله عليّ عشر آيات من أقامهن دخل الجنة . ثم قرأ : « قد أفلح المؤمنون » حتى ختم العشر ... وصح نزول « غير أولى الضرر » وحدها ، يدل على ذلك ما رواه البخاري في كتاب الجهاد من حديث البراء بن عازب قال : لما نزلت « لا يستوى القاعدون من المؤمنين » دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم زيداً ، فجاء بكتف فكتبها . وشكا ابن أم مكتوم ضرارته فنزلت « لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر » .

وفي هذه الرواية إبهام وضحته الرواية التي رواها البخاري أيضاً بعدها عن سهل بن سعد الساعدي ، وفيها التصريح بأن الذي نزل غير أولى الضرر وحدها .

ومن السور القصار ما كان ينزل جملة ومنها ما كان ينزل مفرقاً .

ولقد كان هذا التنجيم مثاراً لعجب المشركين ومنشأ لاعتراضهم على القرآن ، فقد زعموا أن الكتب السماوية السابقة كانت تنزل على الرسل جملة واحدة كما نزلت التوراة على موسى في الألواح مرة واحدة(1) فقالوا إذا كان القرآن قد نزل على محمد من عند الله كما يدعى فما باله لم ينزل عليه جملة واحدة كما نزلت التوراة على موسى وما باله تنزل منه الآية أو الآيات تلو الآية أو الآيات في أزمنة متطاولة ؟ أليست سنة الله في إنزال الكتب واحدة ؟

ألا يكون مجيئه هكذا مفرقاً دليلاً على أن محمداً صلى الله عليه وسلم يصطنعه ، ثم يدعى أنه من عند الله ؟

ثم ! ! ليست هذه الشبهة بأولى جهالاتهم ؛ فقد قالوا في القرآن ما هو أبشع من هذا ، وغالطوا حسهم وعقلهم وكابروا وجدانهم ؛ فقالوا : « إن هذا إلا أساطير الأولين » ؛ وقالوا : « أساطير الأولين اكتتبها ، فهي تملى عليه بكرة وأصيلا » ؛ وقالوا : « إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون » ؛ وقالوا : « وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات ، قال الذين كفروا للحق لما جاءهم : إن هذا إلا سحر مبين » ؛ وقال الوليد بن المغيرة : إن هذا إلا سحر يؤثر ، إن هذا إلا قول البشر : « وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم » . وهكذا شأن كل جهول يحكم على الأشياء بجهله ، وبما يوحيه إليه فساده واستبداده ، وتصوره له سخافة فكره

ولقد جهل المشركون أن نزول القرآن منجماً أمر اقتضته حكمة الله التي سمت عن عقولهم ، وضلت عنها أفكارهم ؛ وأنه لولاه لما أحدث القرآن الكريم في الأمة العربية ذلك الانقلاب

(1) أنكر بعض العلماء نزول التوراة على موسى صلى الله عليه وسلم جملة واحدة وقالوا إنه لا دليل عليه ، وأنها نزلت مفرقة كالقرآن الكريم وهذا خطأ رده الأدلة الصريحة في أنها نزلت جملة واحدة . فمن هذه الأدلة قوله تعالى : « وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة » فإنها نزلت كما قال اليهود والمشركون للنبي صلى الله عليه وسلم : لولا أنزل القرآن جملة واحدة كما أنزلت التوراة ؟ يدل على ذلك ما رواه ابن أبي حاتم من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قالت اليهود يا أبا القاسم لولا أنزل هذا القرآن جملة واحدة كما أنزلت التوراة على موسى . فنزلت الآية . وأخرجه من وجه آخر عنه بلفظ قال المشركون . والقرآن وإن لم يصرح بقولهم كما أنزلت التوراة جملة واحدة على موسى فإن سكوته تعالى عن الرد عليهم في ادعائهم نزول التوراة جملة واحدة ، وعدوله عنه إلى بيان حكمة نزول القرآن مفرقاً دليل على صحة قولهم هذا . وإلا فلو كان ادعاؤهم نزول التوراة جملة باطلا ... ولو كانت الكتب كلها نزلت مفرقة لكان يكفي في الرد عليهم أن يقول إن ذلك سنة الله في الكتب التي أنزلها على الرسل السابقين كما رد عليهم بمثل ذلك في كثير من شبههم مثل قولهم : ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق . فأجابهم بأن ذلك سنة الله في جميع الرسل بقوله : وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق . ومثل قولهم « أبعث الله بشراً رسولا » فرد عليهم بقوله : « وما أرسلنا قبلك من رجال نوحي إليهم »

ومن الأدلة على نزولها جملة قوله تعالى في إنزاله التوراة على موسى يوم الصيحة : « فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين . وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء فخذها بقوة » فإنه صريح في أن الله تعالى أنزل عليه ألواح التوراة مكتوبة جملة واحدة وأمره أن يأخذ بما فيها بسرعة قوية . فأخذها موسى ورجع إلى قومه ليبلغهم إياها فوجدهم عكوفاً على عبادة العجل فألقى الألواح كما قال الله تعالى . ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفا قال : بئسما خلفتموني من بعدي أعجلتم أمر ربكم وألقى الألواح . وأخذ برأس أخيه يجره إليه ، ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الألواح . وفي نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون . فتصريحه تعالى بأنه أنزل إليه الألواح ، وأمره أن يأخذها بقوة ، وبأن موسى ألقى الألواح عند ما ثار به الغضب لعكوف قومه على عبادة العجل ، وبأنه أخذها بعد أن سكت عنه الغضب يدلنا بصراحة على أنها نزلت عليه جملة . وأخذها إلى قومه بتمامها . ويؤيد ذلك أن موسى عليه السلام لما أمرهم بامتثال ما فيها شق عليهم أن يأخذوا بتلك التكاليف دفعة واحدة وأبوا أن يمتثلوا حتى نتق الله الجبل عليهم فخضعوا وامتثلوا . وفي هذا يقول الله : وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون .

ولو كان نزول التوراة مفرقاً ، والتكليف بها كذلك لما شق عليهم امتثالها ، ولما نفروا من موسى حتى هددوا بإسقاط الجبل عليهم بعد أن نتق فوق رءوسهم كأنه ظلة . فادعاء بعض العلماء أنه لا دليل على نزول التوراة جملة واحدة إدعاء باطل يرده ما ذكرناه من هذه الأدلة : ا هـ

الخطير الذي تسري أثره في الأمم ؛ فكان حداً فاصلاً بين عهدين : عهد طفولة النوع البشري ، وعهد بلوغه أشده ، واستكماله خصائصه التي ميزه الله بها على كثير من خلقه ؛ وقد حكى الله تعالى شبهتهم هذه في سورة الفرقان بقوله : « وقال الذين كفروا لولا نُزّل عليه القرآن جملة واحدة » ؛ وفنّدها ورد عليهم بقوله : « كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا ، ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا » . فبين أن حكمة تنجيمه هي تثبيت فؤاد النبي عليه السلام في مواطن اللجاج والخصومة بينه وبين المكابرين من أعدائه ، واقتصر في بيان حكمة التنجيم على هذه الحكمة لمناسبة المقام ؛ فإن المشركين كانوا يظنون أن هذه الشبهة الواهية التي شنعوا بها على القرآن كافية في هدم دعائم الدعوة المحمدية ، فعكس الله عليهم ظنهم وبيّن أن تنجيمه من أقوى العوامل في تثبيت قلبه ، وتقوية شوكته ، وإحكام دعوته .

واقتصار القرآن على هذه الحكمة لا ينافي أن لتنجيمه حكماً أخرى يجتلي البصير نورها إذا تأمل في المناسبات التي نزل القرآن لأجلها ، والغرض المنشود من إنزاله كله ، والظروف التي أحاطت بالرسول والمسلمين حين نزوله ، وإلى الباحث البيان :

الأول : أن نزوله منجما كان بحسب الوقائع والحوادث التي كانت تحصل في المجتمع الإسلامي على عهد نزول التشريع والأسئلة والمقترحات التي كانت توجه من المسلمين أو غيرهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والشبه التي كانت تدور في قلوب المشركين ويظهر القول بها على ألسنتهم ، وبما تقتضيه حالة المسلمين في أوقات السلم من تقرير عقائد الدين وشرائعه وفضائله ، وقوانينه العامة التي يراد بها تنظيم المجتمع الإسلامي وتكوين أمة فتية متمتعة بكل خصائص الأمة الحية ، وحالتهم في أوقات الحرب من الحث على الجهاد والغرض الذي يجب أن يقصد به ، وبيان الأحكام المتعلقة به . كتقسيم الغنائم والفرد وحكم الأسارى وغير ذلك .

الثاني : أنه نزل تدريجاً ليكون أبلغ في التحدي وأظهر لإعجاز القرآن

الثالث : أنه نزل كذلك للتدريج في تربية الأمة العربية تربية دينية وخلقية واجتماعية وإعدادها لمنزلة الخلافة في الأرض ولقيامها مقام المصلح لما فسد من عقائد الأمم وما تسفّل من أخلاقها وعاداتها وتقاليدها وما اختل من أحوالها العامة ونظمها الاجتماعية

الرابع : وليسهل حفظه وفهمه والعمل به على المسلمين وامتزاجه بدمائهم حتى يصير جزءاً من نسيجهم العقلي ليمكنهم أن يضطلعوا بأعباء الدعوة المحمدية بعد رسول الله على بصيرة وهدى وأن يسيروا في هداية الأمم على نهج واضح ، ولا تبعد عنهم الغايات التي ندبوا لتحقيقها في العالم الإنساني

الخامس : وليثبت الله تعالى به فؤاد النبي صلى الله عليه وسلم في مواطن الخصومة : « كذلك لنثبت به فؤادك » رداً على قول المشركين « لولا نُزّل عليه القرآن جملة واحدة » فالآية صريحة في أن نزوله منجما كان المقصود منه تثبيت فؤاد النبي عليه السلام ليتفرغ لتبليغ الدعوة المحمدية بعزيمة قوية وهمة متقدة وقلب مطمئن لا تساوره الأحزان ولا تحتل ساحته الهموم والأكدار التي تكسر شوكة العزيمة وتضعف قوة الإرادة وتطفئ جذوة النشاط الملتهب وتقيد الإنسان عن السير إلى المثل الأعلى الذي يتوخاه في عمله ، خصوصاً في مثل هذه المهمة الكبرى التي يراد بها صقل طبائع النفوس وتهذيب الفطر الإنسانية وإصلاح ما فسد من أحوال الأمم ، وتوجيه العالم البشري في طريق الهدى والرشاد ليصل إلى سعادة الدنيا والآخرة

والخلاصة أنك ترى مما تقدم ذكره أن تنجيم القرآن الكريم مع كونه مقتضى الحكمة الإلهية كان ضرورة حتمية لا محيص عنها ، وأنه لو أنزل جملة واحدة ما أتى بالنتيجة المطلوبة منه في تلك الأمة التي كانت عريقة في الجهالة والهمجية

أما بعد فلعلي بهذه العجالة ألقيت ضوءاً على هذا البحث الذي ألفيته من المباحث الشاقة في التنقيب ، الوعرة في المسلك ، فجاريته على سرعته . وصادفته على علاته فطرقت حكم التنجيم ، لأنها منه كالتكملة والذيل والعلة للمعلول . ولعل من الباحثين من يبحثه بحثاً غير ما بحثت ، ويحرره تحريراً غير ما حررت ؛ ولنا في ثقافتهم آمال كبار .

أبو طالب زيان

٣٨ ـ المصريون المحدثون

شمائلهم وعاداتهم

في النصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف المستشرق الإنجليزي ادورد وليم لين

للأستاذ عدلي طاهر نور

تابع الفصل الثاني عشر — السحر والتنجيم والكيمياء

يدرس الكثيرون في مصر الكيمياء أيضاً . وهنالك فئة تنعم بمواهب يستطيعون أن يبلغوا بها شهرة أفضل مما يدركونه من هذه المهنة . ويواصل هؤلاء جهدهم العقيم حتى يبلغوا الكبر بالرغم مما يلاقون من سخرية حصفاء الرأي وذم الذين يغررون بهم عن غير قصد . ومع ذلك فقد يحصلون على معلومات كيميائية وافرة بدراسة هذا العلم الكاذب . والاهتمام بالكيمياء في حالة الانحطاط العلمي الموجودة الآن بمصر يبرهن على العقلية المصرية الرفيعة

وهنالك أو كان هنالك[1] مصري يدعى الشيخ اسماعيل أبو الروس من مدينة دسوق ، ذاع صيته في السحر الروحاني . ويتحدث المصريون حتى أكثرهم علماً ورزانة عن مهارته السحرية أحاديث لا تصدق . فيتحدث بعضهم مؤكداً زواجه بجنية ، وآخرون عن استخدامه جنياً يستشيره ويأمره في الباطن دون أن يستعمل طلسماً ما مثل مصباح علاء الدين . ويقال إن الشيخ كان يستخدم دائماً قوته الخارقة في أغراض طيبة أو بريئة ، وأن محمد علي ـ كما يقول البعض ـ كان يكرمه ويستشيره كثيراً . وقد أخبرني أحد أصدقائي المسلمين الأذكياء في القاهرة أنه زار أبا الروس في دسوق بصحبة الشيخ الأمير بن الشيخ الأمير الكبير شيخ المالكية ، فسأل صاحب صديق مضيفهما أن يبين لهما بعض ما يدل على براعته في السحر ، فأجابه إلى طلبه . فقال الشيخ الأمير : قدم إلينا القهوة في فناجين أبي الموجودة بالقاهرة . وانتظرا قليلاً ثم أحضرت القهوة فنظر الشيخ الأمير إلى الفناجين وظروفها وصرح أنها طقم أبيه بلاشك . وبعد ذلك قدم الشراب في قلل أبيه . ثم كتب رسالة إلى أبيه

(١) علمت أنه توفي أثناء زيارتي الثانية لمصر

وأعطاها لأبي الروس طالباً الحصول على الرد . فأخذها الساحر ووضعها وراء وسادة الديوان ، وبعد قليل رفع الوسادة وأراه أن رسالته اختفت وحلت محلها أخرى أخذها الشيخ الأمير وقرأها فوجد فيها رداً كاملاً على ما كتبه بخط صرح بأنه خط أبيه ، وأخباراً عن عائلته تبين له صحتها التامة بعيد عودته إلى القاهرة[1] . وقد وقع أثناء زيارتي الأخيرة لمصر حادث سحري عجيب تدخلت فيه الحكومة وكان محل حديث الناس وتعجبهم في العاصمة كلها . وسأروي هذه الواقعة تماماً كما قصها علي الكثيرون في القاهرة دون أن أحذف منها المبالغات التي دبجوا بها حديثهم ، لا لأنني جاهل مبلغ صحتها فحسب ، بل لأبين إلى أي حد عظيم يؤمن المصريون بالسحر

عُزل مصطفى الدجوى كبير الكتاب في مجلس القاضي من وظيفته ، وحل مكانه آخر يسمى مصطفى كان صيرفيًّا . فأرسل الأول إلى الباشا التماساً لإعادته ثانية ، إلا أنه مرض مرضاً شديداً قبل أن يصله رد . فاعتقد أن ذلك نتيجة سحر استخدمه مصطفى الصيرفي بكتابة تعويذة تسبب موته ، ولذلك أرسل إلى الباشا مرة أخرى يتهم الصيرفي بهذه الجريمة ، فأحضر المتهم أمام الباشا فاعترف بعمله ودل على الساحر الذي استخدمه . ولما قُبض على الساحر لم يستطع إنكار التهمة ، فسجن حتى يشفى الدجوى أو يموت ، وأودع في حجرة صغيرة يتناوب حراستها حارسان — وهنا يبدأ القسم العجيب في القصة — عندما جن الليل ، وبعد أن نام أحد الحارسين سمع الآخر صوت همهمة غريبة ، فنظر من خصاص باب الحجرة ، فرأى الساحر جالساً وسط الغرفة يدمدم ببعض كلمات لم يستطع فهمها ، وفي الحال انطفأت الشمعة التي كانت أمامه ، وظهر في الوقت نفسه أربع شمعات أخرى في كل ركن من أركان الغرفة ، ثم وقف الساحر تجاه أحد الحوائط وضربه بجبهته ثلاثاً ، وفي كل مرة كان الحائط ينفرج عن رجل يبدو أنه يخرج منها . ولم يلبث هؤلاء أن اختفوا بعد أن حدثهم الساحر قليلاً ، وكذلك اختفت الشمعات الأربع ، وعادت الشمعة الأولى وسط الغرفة مضيئة كما كانت قبلاً ، ورجع الساحر إلى جلسته ، وساد السكون —

(١) وقد تحدثت في ترجمتي لألف ليلة وليلة الفصل الأول هامش ١٥ عن ساحر أكثر شهرة هو الشيخ أحمد سادومه ذاع صيته في مصر في النصف الثاني من القرن الأخير

وهكذا أبطلت التعويذة التي كانت معدة لقتل المجوى . فني الصباح التالي شعر المريض بتحسن كبير بحيث توضأ وأقام صلاته . ومنذ ذلك الوقت تم شفاؤه سريعاً ، وأعيد إلى وظيفته السابقة ، ونفي الساحر من مصر . وقد نفي ساحر آخر بعد أيام قليلة لكتابته حجاباً جعل بنتاً مسلمة تصاب بحب قبطي حبًّا جامعاً .

وقد أثار فضولي في موضوع السحر بعيد قدومي إلى مصر حادث قصه عليّ مستر صولت Salt قنصلنا العام ؛ فقد سرقت من منزله أمتعة اتهم بسرقتها أحد خدمه . فاستدعى ساحراً مغربياً شهيراً ليحمل المذنب ، إذا كان أحدهم مذنباً ، إلى الاعتراف بذنبه . وحضر الساحر وقال إنه سيبين صورة اللص بحيث تبدو كاملة لأي صبي لم يبلغ سن المراهقة ؛ وطلب من رب الدار أن يحضر أي ولد يختاره ، وكان هناك عدة أولاد يعملون في حديقة مجاورة المنزل ، فدعي أحدهم لهذا الغرض . فرسم الساحر بالقلم على راحة يد الولد اليمنى شكلاً هندسياً صب في وسطه قليلاً من الحبر ؛ وطلب من الولد أن ينظر في الحبر بعزم ؛ ثم حرق بعض البخور وعدة قصاصات من الورق كتب عليها تعاويذ ؛ واستدعى في الوقت نفسه أشياء مختلفة تظهر في الحبر . وأعلن الولد أنه رأى هذه الأشياء وصورة المتهم أخيراً . فوصفه بقامته وهيئته وملبسه ، وقال إنه عرفه ، ونزل مباشرة إلى الحديقة وقبض على أحد العمال الذي اعترف أمام السيد بجرمه

وقد شوّقني الحديث السابق إلى مشاهدة حادث كهذا . ولكن لجهلي اسم الساحر ومكانه كنت عاجزاً عن الوصول إليه . على أنني علمت بعيد عودتي إلى انجلترا أن هذا الساحر اشتهر بين السياح المتأخرين في مصر ، وأنه يقيم في القاهرة ، وأنه يسمى الشيخ عبد القادر المغربي . وقد أحضره جاري عثمان مترجم القنصلية البريطانية ، بعيد قدومي الثاني إلى مصر . فضربت له موعداً ليثبت مهارته التي اشتهر بها . وحضر الساحر في الموعد المعين ، قبل الظهر بساعتين تقريباً ، ولكن كان يلوح عليه القلق وتطلع إلى السماء مراراً ، ثم لاحظ أن الجو غير موافق . وكان اليوم عابساً كثير الضباب عاصف الهواء . وكانت التجربة قد عملت مع ثلاثة صبيان على التوالي ، ولكنها لم تنجح تماماً مع أولهم وفشلت مع الآخرين . فقال الساحر إنه لا يستطيع أن يقوم اليوم بأكثر من ذلك ، وأنه سيحضر مساء يوم ثان . وقد حافظ على وعده وقرر أن الوقت ملائم ؛ وأخذنا ندخن الشبك ونحتسي القهوة وهو يحدثني أحاديث مختلفة منتظرين جاري عثمان ليشاهد التجربة . والساحر جميل الشكل طويل القامة قوي البنية ، وجهه أقرب إلى البياض ، ولحيته شديدة السواد ، رث الثياب أخضر العمة كبيرها ، لا تتسابه إلى النبي (ص) لطيف الحديث بلا تكلف . وقد أخبرني أنه يباشر أعماله العجيبة بواسطة الأرواح الطيبة ، ولكنه قال لآخرين أن سحره شيطاني

وطلب الساحر أولاً قلماً وحبراً وقطعة ورق ومقصاً ليعد تجربة مرآة الحبر السحرية التي تسمى ، مثل بعض الأعمال المشابهة الأخرى ، ضرب المندل . ثم قطع قصاصة ضيقة كتب عليها بعض أدعية علاوة على تعويذة أخرى يعتقد أن التجربة تم بها . ولم يحاول أن يخفي ذلك . ولما طلبت نسخة منها قبل بسهولة وكتبها في الحال موضحاً لي في الوقت نفسه أنه يبلغ غايته بفعل الكلمتين الأوليين « طرشُ » و « طريوشُ » وهما اسما تابعين من الجن . وقد قارنت النسخة بالأصل فوجدتها مطابقة تماماً . وهذا نصها :

طرشُ طريوشُ انزلوا انزلوا ، احضروا إلى مذهب الأمير وجنوده ، إلى الأحمر الأمير وجنوده

احضروا يا خدام هذه الأسماء .

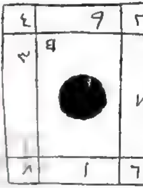
وهذا الكشف ، فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد صحيح صحيح .

وبعد أن كتب هذه الكلمات ، فصل الأدعية عن التعويذة وقطع الأولى إلى ست جذاذات . ثم شرح لي أن القصد من التعويذة التي تتضمن جزءاً من الآية الحادية والعشرين من سورة الكهف ، هو فتح عين الصبي بطريقة غير عادية وجعل بصره حاداً يرى ما لا نراه

وكنت قد أعددت بإرشاد الساحر قليلاً من اللبان ، والكزبرة[1] ومجمرة بها جمر . فوضعت كل هذا في الغرفة مع الصبي الذي أعد لإجراء التجربة ، وكانوا قد دعوه من الشارع بناء على طلبي من بين بعض الصبيان حين عودتهم من أحد المصانع . وكان الصبي يبلغ من العمر ثماني سنوات أو تسعاً . وعندما سألت الساحر أن يبين لي من يستطيع النظر في مرآة الحبر السحرية

(١) ويضيف الساحر على العموم إلى ذلك بخوراً جاوياً .

أجابني : الصبي دون البلوغ ، والبنت العذراء ، والجارية السوداء ، والمرأة الحامل . ووضع الساحر المجمرة أمامه ، ثم أجلس الصبي على كرسي وأمر خادمي أن يضع في المجمرة بعض لبان وكزبرة . ثم أمسك يد الصبي اليمنى ورسم على راحته مربعاً سحرياً نقلت نسخة منه هنا (شكل رقم ٥٣) ويتضمن هذا الشكل أرقاماً عربية[1] ثم صب في وسطه قليلاً من الحبر وطلب من الصبي أن ينظر فيه ويخبره إذا كان يمكنه رؤية وجهه معكوساً فيه . فأجاب الصبي إنه يرى وجهه جلياً . فقال الساحر وهو يمسك بيد الصبي طول الوقت[2] أن يظل محدّق النظر وألا يرفع رأسه



(شكل ٥٣) المربع السحري ومرآة الحبر

ثم أخذ الساحر إحدى قصاصات الورقة المكتوب عليها الأدعية وأسقطها في المجمرة على الجمر والبخور الذي كان قد ملأ الغرفة بدخانه . وبينما كان يفعل ذلك أخذ يدمدم دمدمة لم تنقطع طول العملية إلا حينما كان يوجه للصبي سؤالاً أو يعرفه ما يجب قوله . ووضع في مقدمة طاقية الصبي الورقة المكتوب فيها الآية القرآنية . وسأله عند ذلك إذا كان يرى شيئاً في الحبر ، فأجابه بالنفي ؛ ولكنه لم يلبث أن قال وهو يرتعش ويبدو أكثر خوفاً : « أرى رجلاً يكنس الأرض » فقال الساحر أخبرني بعد أن ينتهي من الكنس . فقال الصبي في الحال « لقد فعل » . فقطع الساحر إذ ذاك دمدمته مرة أخرى ليسأل الصبي إذا كان يعرف ما هو البيرق ؛ فلما رد بالإيجاب أمره أن يقول : « هات بيرقاً » . ففعل الصبي ذلك ولم يلبث أن قال : « لقد أحضروا بيرقاً » .

(١) يلاحظ أنه إذا جمعنا الأرقام عمودياً أو أفقياً أو بالوريب نحصل على المجموع نفسه أي ١٥

(٢) وهذا يذكرنا بالمغناطيسية الحيوانية.

فسأله الساحر « على أي لون هو ؟ » . فأجاب الصبي أحمر . فقال له اطلب بيرقاً آخر . فلم يلبث أن قال إنه رأى بيرقاً آخر ، وأنه أسود اللون . وبالطريقة نفسها قال الساحر للصبي أن يطلب ثالثاً ورابعاً وخامساً وسادساً وسابعاً . فقال الصبي إنها أحضرت على التوالي وإنها أبيض وأخضر وأسود وأحمر وأزرق . فسأله الساحر حينئذ « كم بيرقاً أمامك الآن ؟ » فأجابه « سبعة » . ووضع الساحر أثناء ذلك ثاني القصاصات المكتوبة عليها الأدعية وثالثها في المجمرة . وإذ كان يضيف لباناً وكزبرة مراراً فقد أصبح الدخان يؤلم العين . وعند ما أخبره الصبي أن البيارق السبعة ظهرت له أمره أن يقول : « أحضر خيمة السلطان وانصبها » ففعل ذلك وقال بعد لحظة : « لقد أحضر بعض الرجال الخيمة وهي خيمة كبيرة خضراء وهم ينصبونها » ثم أضاف تواً : « لقد نصبوها » فقال الساحر : « الآن مر الجنود بالحضور وبنصب معسكرهم حول خيمة السلطان » ففعل الصبي كما أمره وقال على الفور : « أرى عدداً عظيماً من الجنود بخيمهم . لقد نصبوا خيمهم » . فقال له حينئذ أن يأمر الجنود بالاصطفاف . ولم يكد يأمرهم حتى قال إنهم اصطفوا . ووضع الساحر رابع القصاصات في الجمر وسريعاً ما ألحق بها الخامسة . وقال تواً : « قل للبعض أن يحضروا ثوراً » فأصدر الصبي الأمر وقال : « أرى ثوراً أحمر يسحبه رجال أربعة ويضربه ثلاثة » فقال له أن يأمرهم بذبحه وتقطيعه ووضع لحمه في أوعية وطهيه . ففعل كما أمره ووصف هذه العمليات كما تمت حسب الظاهر أمام عينيه . فقال الساحر : « قل للجنود يأكلون » ففعل الولد وقال : « إنهم يأكلون . لقد أكلوا . وهم يغسلون أيديهم » فقال له الساحر إذ ذاك أن يدعو السلطان ففعل الولد وقال : « أرى السلطان ممتطياً جواداً أشهب وعلى رأسه قلنسوة مرتفعة حمراء . لقد ترجل عند خيمته وجلس داخلها » فقال الساحر : « مرهم بتقديم القهوة للسلطان وبتأليف المجلس » فأصدر الصبي هذه الأوامر وقال إنها نفذت . وكان الساحر قد وضع آخر القصاصات الست في الجمرة . ولم أميز من همهمته شيئاً غير ألفاظ الدعاء المكتوب التي رددها مراراً ما عدا مرتين أو ثلاثاً سمعته يقول : « إذا استعلموا أخبرهم . وكونوا أنتم صادقين » إلا أن أكثر ما ردده كان غير مسموع . ولما لم أسأله أن يطلعني عليه فلا أدعي الجزم بأنني أعرف تماماً أدعيته

[illegible]

مطالعات فى الأدب الغربى

مقـــــدمة فى الفن

لأسكار وايلد

بقلم الأستاذ على كمال

[أسكار وايلد أعظم من أن يعرف بغير ما كتب . وقصته العظيمة التى اشتهر بها The Picture of Dorian Gery تعتبر سفراً فنياً عظيما ، ومقدمتها القصيرة تلخص نظرات هذا الفنان فى الفن ، وهى تضع قواعد جديدة فى النقد التى لا تسر المحافظين من أصحاب المدرسة الأخلاقية فى النقد]

الفنان هو خالق الأشياء الجميلة

إظهار الفن وحجب الفنان هما غرض الفن

الناقد هو الذى يستطيع أن ينقل إلى صورة أخرى أو مادة أخرى تأثراته بالأشياء الجميلة

إن الذين يجدون معانى قبيحة فى الأشياء الجميلة ، إنما هم فاسدون مجردون عن الجمال

لطائفة مختارة تعنى الأشياء الجميلة الجمال فقط

ليس هناك كتاب أخلاقى أو غير أخلاقى . الكتب إما أن تكتب كتابة جيدة أو رديئة ، وهذا كل شىء

كره القرن التاسع عشر للواقعية هو غيظ (كاليبان) لرؤيته وجهه فى الزجاج

وكره القرن التاسع عشر للرومانتيقية هو غيظ (كاليبان) لعدم رؤيته وجهه فى الزجاج

حياة الرجل الأخلاقية تكون جزءاً من مادة الفنان ، غير أن أخلاق الفن تتألف من الاستعمال التام لمادة ناقصة

ما من فنان يرغب فى برهنة أى شىء . كل شىء تمكن البرهنة عليه حتى الأشياء الصادقة

ليس للفنان عواطف أخلاقية . والعاطفة الأخلاقية فى فنان تأنق فى الأسلوب لا يغتفر له

لا يمرض الفنان أبداً . الفنان قادر على التعبير عن كل شىء

الفكر واللغة للفنان أداة للفن

الرذيلة والفضيلة عند الفنان مادة للفن

مثال جميع الفنون من ناحية الشكل هو فن الموسيقى ، وحرفة الممثل من ناحية الشعور هى المثال

الفن كله سطحى ورمزى . فالذين يذهبون إلى ما دون السطح يخاطرون بذلك على حسابهم . . . والذين يقرأون الرمز يخاطرون بذلك على حسابهم

المشاهد لا الحياة هو فى الحقيقة ما يعكسه الفن

إختلاف الرأى فى عمل فنى يظهر أن العمل جديد حى معقد عند ما يختلف الناقدون يكون الفنان على وفاق مع نفسه

يمكننا أن نسامح الرجل الذى يصنع الأشياء المفيدة ما دام لا يعجب بها . والعذر الوحيد لصانع شىء غير مفيد هو إعجابه به بشدة

الفن بأجمعه لا فائدة منه أبداً ...

على كمال

حكم فى القضية رقم ١٤٦٥ عسكرية أسيوط سنة ٩٤٢ ضد محمد سليمان عبد البارى من أم القصور بغرامة ١٠ عشرة جنيهات لبيعه ذره بأكثر من التسعيرة بجلسة ٢٥ مايو سنة ٩٤٢

حكمت محكمة دمنهور العسكرية فى القضية رقم ٩٠٣ جنح عسكرية سنة ٩٤٢ بجلسة ١٧ / ٦ / ٩٤٢ على محمد قطب البنا بقال من دست مركز كوم حمادة بغرامة ٥٠٠ قرش وغلق المحل أربعة أيام ونشر الحكم والتعليق على مصاريفه لبيعه سكرا بأعلى من التسعيرة

حكم فى القضية ن ١٦٢٦ عسكرية طنطا سنة ٩٤١ ضد محمد السيد العدوى بغرامة ٣ جنيه والنشر والتعليق بتاريخ ١٤ يناير سنة ١٩٤٢ وذلك لبيعه جبنا بسعر أكثر من المحدد

هنـــا القاهرة . . .

للأستاذ عبد اللطيف النشار

— ١ —

سَبَقَ الذبيحُ إلى المتاف بها ... أوعى الذبيحُ جلالَ ما هتفا ؟

أأقولها وأحس عن كثب ... دنيا فتنت بحسنها شغفا

ما زرتها إلا على عجل ... إن قلت أقبل موعدى أزفا !

كالطير روحته وغدوته ... صنوان ما افترقا ولا اختلفا

طيف ألمَّ بها ولم يرها ... ورأته طيفاً دقَّ بل لطفا

يا من « بمصر » وعندهم أملى ... أيُحَال دون لقائكم جنفا ؟

تأبى إطاعة هاجس تقتى ... بالله ، فهو وكيلنا وكفى !

— ٢ —

متى يا تُرى أدعو دعاءَك صادقاً

بأنىَ قد أصبحت فى « مصر » ثاويا ؟

دعا الشاعر « العقاد » قبلىَ دعوةً

أجيبت ، فهل رد الإلهُ دعائيا ؟ !

(أيا مرجع الأيام من حيثما ابتدت

أعِدْ لى أيامى « بمصر » كما هيا) !

أجيبَ دعائى ومضةَ البرق ، لا أرى

سحاباً ، ولكن أسمع الرعد داويا

ألا يا غدى ، ماذا تخبِّئ يا غدى ؟

أأسكت ، أم أفضى إليك شكاتيا ؟ !

سكت ، فقد عاهدت ربىَ قبلها

بألا يرانى آخر الدهر شاكيا !

— ٣ —

تنسى القسوة فى خطابكمو ... لا شىء فى لفظى سوى تَنَسى

شعراء « مصرٍ » فى حناجركم ... وترٌ يضخم أضعفَ الجرْس

يا ليت فى أسماعكم وتراً ... أقوى فيسمع بينكم همسى !

— ٤ —

علمان فى (العلمين) يقتتلان

يا (مصر) ما (العلمين) ما العلمان ؟

لا أبتغى غيظ النحاة ولم أمل

(للأين) إذ يرضى النحاة (الآنِ)

يا نصف نحوى يجادل كله ... ليت العوالم كلها كلسانى !

قل مخطئاً واسمع مقالة مخطئ ... لا يحسن التصويبُ كل أوان

الجد ليس بريح من يُعنى به ... فتنقلوا — يا قوم — بالهذيان !

عبد اللطيف النشار

فلسفة الحب

للشاعر بيرسى شيلى

إن الجداول تمتزج بالأنهار ، والأنهار بالبحار ، والبحار بالمحيطات ، ونسائم الفردوس يمتزج إلى الأبد بعضها ببعض بعاطفة عذبة . ليس فى الكون شىء متفرد بذاته ؛ فكل شىء يمتزج حسب قانون مقدس بشىء ثان . فلماذا لا تمتزجين بى وأمتزج بك ؟

***

انظرى الجبال تقبل السماء العالية ، والأمواج تحتضن الأمواج ، وليس هناك من زهرة يمكن أن تعذر إذا بقيت بمفردها محتقرة أختها الوردة ، ونور الشمس يحتضن الأرض ، وأشعة القمر تقبل وجه البحر ؛ فما قيمة كل هذه القبلات إذا لم تقبل شفتاك شفتى ؟

(بغداد) ... صفاء خلوصى



توثيق العلاقات الثقافية بين مصر والعراق

أقر مجلس الوزراء في جلسته الأخيرة مشروع وزارة المعارف بتأليف مكتب لتوثيق العلاقات الثقافية بين مصر والعراق . وفيما يلي مذكرة معالي الأستاذ الوزير ننشرها لقيمتها التاريخية

« بتاريخ ٣٠ أكتوبر سنة ١٩٤١ عرض وزير المعارف السابق على مجلس الوزراء فكرة الدعوة إلى عقد مؤتمر تعليمي للبلاد العربية ؛ وقرر مجلس الوزراء تأجيل البت في هذا الأمر إلى أن تقدم إليه وزارة المعارف تفصيل الموضوعات التي سيتناولها المؤتمر ومبلغ ما يحتاج إليه عقده من اعتمادات

وقدمت وزارة المعارف بتاريخ ١١ ديسمبر سنة ١٩٤١ بياناً إلى مجلس الوزراء بما طلب من الموضوعات التي سيتناولها المؤتمر ومبلغ الاعتماد الذي سيحتاج إليه ، فوافق مجلس الوزراء على عقد هذا المؤتمر في الخريف المقبل

ولما تألفت الوزارة القائمة ، أعيد درس هذا الموضوع ، وتبين أن وزارة المعارف لم تستشر لجنة المؤتمرات ولا وزارة الخارجية في عقد هذا المؤتمر ؛ وقد انتهزت وزارة المعارف فرصة وجود مندوبين من وزارة المعارف العراقية في القاهرة في الشتاء الماضي لحضور مؤتمر تدريس العلوم ، وهما الدكتور فاضل جمالي مدير التعليم العام بالعراق ، والدكتور متى عقراوي مدير دار المعلمين العليا ببغداد ، فتحدثت إليهما في موضوع عقد المؤتمر ، وفي موضوع أهم منه ، وهو تنظيم التعاون الثقافي بين مصر والعراق .

وانتهت هذه المحادثات الأولية إلى ضرورة إنشاء مكتب مشترك بين وزارة المعارف المصرية ووزارة المعارف العراقية ، لتنظيم شئون التعاون الثقافي بين البلدين والإشراف عليها

واقترح أن يؤلف هذا المكتب من ممثلين لوزارتي المعارف في مصر وفي العراق ، وأن يكون للبلاد العربية الحق في أن تشترك فيه إن أرادت ، وأن يعقد المكتب اجتماعات دورية منظمة في كل عام لتبادل الرأي في الأغراض الثقافية والتعليمية التي تحدد ؛ على أن يكون من بين المسائل التي يدرسها ويرفع من شأنها اقتراحاته إلى الحكومتين المصرية والعراقية الموضوعان الآتيان :

(ا) وضع الأسس لمعاهدة ثقافية بين مصر والعراق ، على أن يكون لغيرهما من البلاد العربية الانضمام إليها

(ب) الدعوة إلى مؤتمرات ثقافية تمثل فيها البلاد العربية .

وفي الواقع أن بين مصر والعراق تعاوناً مستمراً . فالحكومة العراقية تطلب إلينا الأساتذة والمعلمين في كل عام ، كما تطلب إلينا معونات أخرى تتصل بالكتب والأدوات الدراسية

ونحن نفعل ما نستطيع لإجابة الحكومة العراقية إلى ما تريد في حدود ظروفنا الخاصة . ولكن هذه الأمور تجري على غير نظام ثابت واضح ، وتعمل فيها المصادفات أكثر من أي شيء آخر ؛ والوسيلة العملية لتنظيم الصلات الثقافية القائمة بين البلدين وتوثيقها هي إنشاء هذا المكتب الدائم الذي يتولى هذه الشئون .

مشاكل التموين في الزمن القديم

تستفحل مشاكل التموين في أوقات الأزمات والحروب ، حتى ليستعصي حلها على كثير من الدول ما لم تصطنع لها من وسائل الدقة وحسن التنظيم وكفاية التوزيع ما يستغرق أكبر جهود ويقتضي أوفر عناية .

وقد يخيل إلى بعضنا أن توزيع المؤن والأقوات على مقتضى البطاقات وشبهها ، من الأنظمة التي توصل إليها الغربيون قبلنا فنقلناها عنهم . ولكن الواقع يثبت غير ذلك ؛ إذ قد عرفت حكومات الشرق الإسلامية هذه الوسائل منذ عهد بعيد ؛ وقد التجىء إليها حين اشتد القحط وشحت الأقوات في بلاد الهند ، وقت زيارة الرحالة ابن بطوطة لهذه الأصقاع في النصف الأول من القرن الرابع عشر الميلادي ، على عهد السلطان أبي المجاهد محمد شاه صاحب دلهي وابن السلطان غياث الدين تُغْلُق شاه ...

وقد ذكر ابن بطوطة أن ثمن المنّ من القمح بلغ حينئذ ستة دنانير - والمن وزن يبلغ رطلين - فأمر السلطان بإعطاء جميع أهل دلهي نفقة ستة أشهر من المخازن ؛ قال : « فكانت

القضاة والكتاب والأمراء يطوفون بالأزقة والحارات ، ويكتبون الناس ويعطون كل أحد نفقة ستة أشهر ، بحساب رطل ونصف من أرطال المغرب في اليوم لكل واحد . . . » وقد كان الرطل المغربي يعادل رطلاً وربعاً من الوزن المصري

ثم لما اشتدت الضائقة وبلغت المجاعة من الناس ، وزع السلطان ما كان بلده على الأمراء والقضاة ليتولوا إطعامهم . قال ابن بطوطة ـ وكان يتولى قضاء دلهي : « فكان عندي منهم خمسمائة نفس . فعمّرت لهم سقائف في داري وأسكنتهم بها ، وكنت أعطيهم نفقة خمسة أيام لخمسة أيام »

ولعل أشبه شيء بالمطاعم الشعبية عندنا اليوم ، وأقومه بمثل خدمتها ، ما أشار إليه الرحالة ابن بطوطة بقوله : « وكنت في تلك المدة أطعم الناس من الطعام الذي أصنعه بمقبرة السلطان قطب الدين على ما يُذكر ، فكان الناس ينتعشون بذلك والله تعالى ينفع بالقصد فيه ... »

وقد كان السلطان أوقف ثلاثين قرية على الإطعام فوق هذه المقبرة ، وجعل تدبيرها بيد ابن بطوطة على أن يكون له العُشر من فائدتها كما هو المتبع عندهم

(جرجا) محمود عزت عرفة

عادة وعوائد

قرأت الجملة الآتية من مقال الدكتور زكي مبارك بالعدد ٤٧٢ من « الرسالة » :

« ينتقى (أي المطران) من العوائد وهي جمع عادة كما تجمع حاجة على حوائج ، ولك أن تجعل مفردها عائدة إن تناسيت العرف وهو من أهم الأسندة اللغوية ... » اهـ

هذه عبارتك الصرفية يا سيدي الدكتور ليس فيها ما يدنيها من مقال « الحديث ذو شجون » من قريب أو بعيد إلا إن أردت أن تجمع إلى ما تقدمه لإخواننا الأقباط الأكرمين من ضوء رأيك في انتخاب المطران ما يغير نوع الحديث تنبيهاً للفكر كما يقدم بعض الحلوى بين أصناف الطعام تنبيهاً للمعدة ، أو أن تجمع إلى ما تسوقه للأمة من تحقيق مسألة تاريخية طرفة صرفية يأبى إعظامك للغة وتكريمك أهلها إلا أن تتحفهم بها . غير أنه استبهم عليك الجمع وما قسته به وما حكمت على العرف لأنه من أهم الأسندة اللغوية . واستبهم عليّ كل ذلك لأني أقرب منك عهداً بتعلم لغة العرب وأقل تنقيباً في كتبها ؛ فما وصل إليه معلومي أن كلمة « عادة » لا تجمع على عوائد ، وأن صيغة فواعل ينحصر اطرادها في ثمانية أنواع أو سبعة على الخلاف ليس منها ما أوردته وقد اختلف في نوع من أنواعها (فاعِل) بكسر العين وصفاً للمذكر غير العاقل ، فقيل بشذوذه وقيل بغلطه وقيل بصحته ، وما عدا ذلك شاذ إجماعاً ؛ وقد حصروا الشاذ فلم يكن منه عوائد جمعاً لعادة ، فهو منكور قياساً ، ولم يسمع شذوذاً حتى جنبت ذكره المعاجم . وقد استساغ ابن منظور أن يورد في بحره الزاخر « لسان العرب » بعد ما ذكر ما ورد من جموعها كلمة عيد جمعاً لعادة ، ونسبها إلى صاحبها تأكيداً لاستضعافها وعدم رضايته عنها ؛ ولم يذكر عوائد جمعاً لعادة ، وإن أورد الشرتوني في معجمه « أقرب الموارد » بعد أن أورد ما سمع من جموعها : العوائد جمعاً لعادة . غير أنه أردفه بقوله وكأنه جمع عائدة .

ثم التبس عليّ قياسك عوائد على حوائج ، لأنه قياس ينبو عما قرأنا في كتب أصول النحو ، ولم أسمع من أمثال سيدي الدكتور — حفظه الله — من جعل الشاذ مقيساً عليه لمخالفته الإجماع ؛ لأن القياس — ومن شروطه ألا يقاس على الشاذ — هو حمل غير المنقول على المنقول ، وليست كلمة الحوائج المقيس عليها منقول لنبوها عن القاعدة ولكنها مسموعة ، على أنه مطعون في صحتها جمعاً لحاجة . قال الدماميني :

« سمع في هذا المفرد حائجة فيجوز أن يكون حوائج جمعاً لها واستغنى عن جمع حاجة » اهـ

وقد أنكر (حق) في فروقه وابن خالويه في كتابه (ليس في كلام العرب) جمع الحوائج على حاجة ؛ وكذا الحريري في (درة الغواص) ، واستشهد بخير ما يستشهد به لصدق دعواه ، وإن أظهر الشهاب الخفاجي في شرحه على الدرة جنوحاً عن رأي الحريري ، ولكنه سار في غير مسار (بقية)

الفدائية أيضا

طلبت من الدكتور الفاضل محمد حسني ولاية بعد أن ذكر (الفدائية) في مقاله (الشخصية المستيرية) أن يتفضل فيبين لنا المبادئ التي كانت تعمل من أجلها جماعة الفدائيين ، وهل كانت

هذه المبادئ من السمو — كما ذكر الدكتور الفاضل — بحيث يضحى الفدائى نفسه فى سبيل كل غاية تفيد الإنسانية ، أم أن الدكتور الفاضل أراد بذكرهم فى مثاله مجرد التشبيه فقط ، باسترخاصهم النفس فى سبيل غاياتهم

فلم أصل برد الدكتور الفاضل لغرضى الذى عنيته ، فقد خرج الدكتور الفاضل عن اتجاه السؤال ، وأخذ فى تفنيد نظريات علمية مسلم بها ، كالعقد النفسية Complexes والتضحية للغاية Object الخ ...

فإلى الدكتور الفاضل ، وإلى جمهرة الباحثين من الكتاب والأدباء أرجو أن يتفضل أحدهم بالكتابة عن جماعة الفدائيين ومبادئهم ، خصوصاً وقد كثر فى هذه الأيام ذكرهم فكثيراً ما أسمع من يقول ـ هذا شخص فدائى ـ وكان يقال فى الصحف ـ وسيقوم جيش الفدائيين بكيت وزيت ـ فهل هذا مجرد التشبيه فقط ، أم لتماثل مبادئ هؤلاء وهؤلاء .

مصطفى عبد المجيد جاد

جلال الدين بن مكرم وأبياته فى الإسكندرية

سأل الأستاذ مصطفى الشهابى بعدد الرسالة رقم ٤٧٣ عن النص العربى لأبيات ترجمها «فورستر» إلى الإنجليزية فى كتابه عن الإسكندرية . والأبيات مذكورة في الخطط المقريزية (ج ١ ص ٢٦٢) وهذا نصها :

زبلُ سكندرية ليس يُقرَى بغير الماء أو نعت السوارى
ويُتحَف حين يُكرم بالهواء الـ(١)

ـــلاتى والإشـــارة للمنـــار

وذكر البحر والأمواج فيه ووصف مراكب الروم الكبار
فلا يطمعْ نزيلهمُ بخُبزٍ فما فيها لذاك الحرف قارى

وقد نسب المقريزى هذه الأبيات إلى جلال الدين بن مكرم ابن أبى الحسن بن أحمد الخزرجى ملك الحفاظ . وهذا الاسم يتفق تماماً مع اسم ابن منظور صاحب لسان العرب ، إلا أن كنيته «جمال الدين» لا «جلال الدين» ، وأغلب الظن أن ذلك عن سهو من المقريزى أو من ناسخ الكتاب . وقد اخطأ المترجم فى كتابة «مكرم» ، والحقيقة أنها بتشديد الراء المفتوحة ، وهى بغير شكل فى كتاب المقريزى

عبد القادر حسن القط

هما لأبى تمام

تساءل الأستاذ موسى حق عن صاحب البيتين الذين نسبهما صاحب عيون الأخبار إلى دعبل مع أنهما منسوبان إلى أبى تمام فى ديوانه وهما :

إن أولى البرايا أن تواسيه عند السرور لمن آساك فى الحزن
إن الكرام إذا ما أيسروا ذكروا من كان يألفهم فى المنزل الخشن

ثم تساءل عن صحة البيت الأول

أما البيتان فهما لأبى تمام ونسبتهما إلى غيره وهم ، وهما من قصيدة طويلة فى مدح أبى الحسن على بن اسحق لما تولى دمشق ؛ وقد ذكرها كلها الشيخ يوسف البديعى قاضى الموصل المتوفى سنة ١٠٧٣هـ فى كتابه «هبة الأيام فيما يتعلق بأبى تمام» وقال عن هذين البيتين ما نصه : «والبيتان الأخيران من هذه القصيدة نسبهما بعض المؤرخين لابراهيم بن العباس الصولى وهو وهم ، ويدل على أنهما لأبى تمام ما قاله أبو بكر الخوارزمى من رسالة كتبها إلى كاتب خوارزم شاه ، ثم ذكر نص كتاب أبى بكر الخوارزمى وفيه البيتان منسوبان إلى أبى تمام (هبة الأيام ص ١٢٥ — ١٢٦)

وذكرهما ابن عبد ربه فى العقد ونسبهما إلى أبى تمام أيضاً (ج ٢ ص ٤٠) ط العريان

وأما صحة البيت الأول منهما فهو كما جاء فى هبة الأيام والديوان مطبوع حديثاً :

أولى البرية حقاً أن تواسيه عند السرور الذى آساك فى الحزن

وفى الديوان «تراعيه» بدل «تواسيه»

ورواية العقد فى البيت الأول هى :

وإن أولى الموالى أن تواسيه عند السرور لمن واساك فى الحزن

برهان الدين الداغستانى

(١) كذا بالخطط ولا ذكر لها فى قواميس اللغة

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)